الأدب الإسلامي في مواجهة الغزو الفكري

محمد بنعمارة

من البدهي أن نعترف لهذا العصر بشراسة الغزو الفكري والثقافي الذي مثل قناة ضمن قنوات أخرى حاول من خلالها «الآخر» الصليبي الصهيوني الاستعماري، هدم مكونات هويتنا، واجتثاث العلاقة القوية التي ربطتنا بترتيبنا سعي هذا «الآخر» من أجل تحقيق مخططاته التي اتسمت بالاهتمام المتزايد لكل ما له علاقة بنا، من تفكير، وفنون، وإنتاج ذهني، فانكب يدرس مناهج تفكيرنا، وأساليب فنوننا، وطبيعة نشاطنا الذهني، ودرس أيضا تاريخنا، وأحداثنا، وتوقف متأملا طريقة تعاملنا مع الأحداث، وانفعالنا مع المواقف في أحوال الحرب، وأحوال السلم، وادعى في بداية اهتمامه بنا أن باحثيه يطلبون الحقيقة المعرفية ويجعلونها غاية وهدفا ومطلبا.

وبفضل يقظة الفئة المتمسكة بالعروة الوثقى، والمخلصة لدين الله، والمعتصمة بأمر الله ـ بفضل هذه الفئة التي راقبت هذا «الآخر» في ما ينجزه تحت غطاء العلم والمعرفة، انتبهت إلى أن مشروع الآخر يتجاوز حدود مقتضيات العلم وأهدافه، ويحصل في خلفيته غايات أخرى لا علاقة لها البتة بموضوعية المعرفة.. وانكشف غطاء هذه القضية ـ وإن كانت طبيعة موضوعي لا تقتضي التوقف الطويل عند خصيصة أهداف الغزاة ـ فإن ما كشف عنه علماؤنا الأفاضل.. هو أن نشاط القوة الصليبية والصهيونية يستهدف من خلال البحث في بيئتنا الثقافية والفكرية، وفي محيطنا الاجتماعي جمع المعلومات المتعلقة بنا ليسهل التسلل إلينا، ولإلحاق ضربة تدّمر إنجاز أسلافنا الذين بايعوا الله ورسوله، واستنصروه فنصرهم، ولفرض قطيعة تامة بيننا وبين جذورنا وليس في نيتي أن أتوقف عند هذه النقطة، فلقد باتت معروفة لدى الجميع.

وإذا كانت طبيعة بحثي تتجه نحو تمهيد دور الأدب الإسلامي في مواجهة الغزو الفكري، فلقد اخترت حصر الموضوع في جنس الشعر، بحكم الصلة التي تربطني به على المستويين:

/ تتبعي لحركة الشعر العربي الحديث كقارئ ومهتم، وقد مكنني هذا الاهتمام بالتعرف على قضاياه التي بدت لي أحيانا مفتعلة لأنها لا تجسد قضايا شعر ينتسب إلى أمة تدين بدين الله.

// وكمبدع وممارس للكتابة الشعرية، جعلت من مشاغلي الذهنية والفنية، البحث عن إسلامية القصيدة التي تستطيع أن تحقق لكينونتها معادلات فنية معاصرة حتى لا تبقى القصيدة الإسلامية متحفية الأشكال ـ وفي الوقت نفسه تسترفد مفاهيمها ومضامينها من العقيدة التي شرّعت للإنسان في مختلف ظروفه (سلما وحربا) وفي مختلف أحواله النفسية والاجتماعية والسياسية والاقتصادية.

أهداف مرحلية :

وقبل أن أنصرف في معرض حديثي إلى المفاهيم الوافدة من الذاكرة المضادة.. وأقصد من مرجعية الغرب الاستعماري والصهيونية المتربصة، على أن أقر ببعض الحقائق:

الحقيقة الأولى :

أن الغزو الثقافي حقق أهدافه، حيث وصلت مفاهيمه العبثية والوجودية والنيتشوية إلى الشعر العربي الحديث. ووجهته توجيها بلغ درجة خطيرة، فتمكن التخطيط الغربي من أن يستثمر القصيدة الحديثة المكتوبة بالعربية. لترويج الدهرية والإلحاد على مستوى (العقيدة). والإباحية المخاطبة للغرائز والمحركة للمطالب السفلية على مستوى (الأخلاق) وإعادة الدور للوثنية بدعوى توظيف الرمز الأسطوري.

الحقيقة الثانية :

وقد تبدو فنية شكلية إلا أنها في الجوهر تلتقي مع غاية هدم العقيدة، وهدم الذوق الذي ميّز طبيعة الأدب العربي منذ القدم. فارتفعت دعوات حادة تدعو إلى ما سمي بتفجير اللغة، أي الخروج من القواعد، واستحداث أنماط جديدة في البناء اللغوي لا علاقة لها بالمألوف المنضبط بالقاعدة، بل تجاوز هذا الأمر حدّه، حيث ظهرت دعوة هدامة لقيت من يناصرها. وهي دعوة الشاعر اللبناني سعيد عقل. الذي طالب بأن يكتب الشعر بما أسماه باللغة الثالثة. ووجدت نظائر لهذه الدعوة في بلاد المغرب العربي حيث دعا بعضهم إلى أن يكتب الشعر بالأمازيغية في «المغرب» وبالقبائلية في «الجزائر» ويتضح أن المقصود هو إقصاء اللغة العربية، وإبعادها عن الأمة الناطقة بها؛ لأنها في أذهان هؤلاء، لغة دينية في طبيعتها.

«الغزو الثقافي حقق أهدافه وظهرت مفاهيمه العبثية في القصيدة الحديثة.»

لماذا استبد القلق بشعرائنا بدلا من صفاء الإحساس وتجليات الروح ؟!!

الحقيقة الثالثة :

إن المؤامرة استطاعت أن توصل بعض القصائد ذات النزعة الإلحادية إلى برامج التعليم . في بعض الدول العربية كقصيدة «الطلاسم» للشاعر اللبناني ايليا أبو ماضي حيث تقررت، ودرسها الناشئة تحت شعار برّاق، فصنّفت في باب : الشعر التأملي الفلسفي . . وتلقتها أجيال متتالية من المتعلمين، ورددوا جميعا هذه القصيدة الحائرة المبنية على الشك، والمنطلقة من فكرة أن وجود الإنسان عبث وأن المصير مجهول :

جئت لا أعلم من أين
ولكني أتيت
ولقد أبصرت قدامي طريقا فمشيت
وسأبقى هكذا إن شئت هذا أم أبيت
كيف جئت، كيف أبصرت طريقي، لست أدري ؟!

ومعني هذه الحقائق السابق ذكرها، أن أعداء العقيدة تمكنوا من توظيف جنس الشعر في الوصول إلى غرضهم الأول وهو فصل المسلم عن عقيدته، ومحاولة توجيه فكره ووجدانه إلى اتجاه غير سليم، ولا يتفق مع طبيعة فكرنا الموحد لله . ووجداننا المهذب بذكر الله .

وحتى لا يكون حديثي مفتقدا للبرهان ومفتقرا للحجة سأستعرض مضامين بعض القصائد التي وإن كتبها أصحابها باللغة العربية فإنها حطمت محمولا غريبا وشاذا لا تستسيغه النفس المؤمنة، وتنفر منه الفطرة البشرية :

ولنأخذ النموذج الأول من النصوص الشعرية التي بنيت في مضمونها على الترويح للمفاهيم الدهرية :

فهذه قصيدة «إلى أين» للشاعر العصري كامل الشناوي تفوح منها رائحة الشك بالآخرة وتعطيها نزعة دهرية واضحة .

يقول
إلى أين نمضي أيها الدهر
بعد ما نصير هباء
لا ضجيج، ولا صمت ؟!
وينسلّ منا الحبّ والخير والهدى
وينسل منا الشر والغيّ والمقت
إلى أين يمضي شيبنا وشبابنا
إلى أين يمضي الومض والنبض والصوت (١)

وفي قصيدة ثانية لنفس الشاعر عنوانها «ثم ماذا» نلمس هذه الدهرية الجديدة ممزوجة بتصورات وجودية عبثية مستردة من أفكار «سارتر» و«سيمون دى بوفوار»، مع ما نلحظه من سقم في الرؤية . وادعاء من أن القضاء ظلم . وحاشا أن يكون القضاء ظالما :

يقول الشاعر :
ثم ماذا يا دهر؟
هل من جديد
أجتني منه لوعتي وعنائي
. . . هات ما قدّر القضاء علينا
ولتفض كأس عيشنا بالشقاء
لست أخشى القضاء
إن قصد العدل
ولكن . . أخاف ظلم القضاء . . .
سخريات هذي الحياة . . وسرّ
لم يزل غامضا على الأذكياء . . (٢)

وكأبي ماضى في «طلاسمه» نجد الشاعر السابق الذكر «كامل الشناوي» يعيش اضطرابا نفسيا، وهاجسا عبثيا، وشكا تعبّر عنه مواقف «اللاأدرية» . بل أكثر من كل ذلك نكتشفه في حالة سقوط سفلي، وهو يردد دونما أدب مع الخالق قوله في قصيدته «أنا» :

يارب فيم خلقتنا
وتركتنا نهب الضباب
فلا ظلام ولا سنا
وندبّ فوق الأرض
لا ندري بها
وندبّ فوق الأرض
لا تدري بنا ؟
أنا من أنا
أنا من أكون
وسيلة أم غاية
أنا لست أعرف من أنا (٣)

متاهات الشكوك :

ومثل هذا الأمر تكرر عند شعراء آخرين . أسقطوا الفن الشعري في متاهات الشكوك، واعتقدوا أن الأسئلة الوجودية العدمية يمكنها تحقيق تدفق الشعر وتوجهه، والحقيقة أن الشعر فن مرتبط في جوهره بتجليات الروح، وصفاء الإحساس، وسلامة الرؤية، وصدق المشاعر .

وعيون الأعمال الشعرية في مختلف الآداب الأخرى استطاعت أن تحقق ديمومتها انطلاقا من شفافية الروح ونبضها المتناغم مع الكون والخاضع لإله الكون .

وإنه لمن السقوط الفكري والفني معا أن نجد شاعرا له مكانته في خارطة الشعر العربي يتناول في بعض قصائده مضامين معادية لعقيدة الأمة وبشكل صريح ناهيك عن عُرْي صوره الشعرية ومخاطبته للغرائز، واتخاذه من جسد المرأة الأنثى بضاعة يتقرب بها إلى كل ذوق منحرف، ولنأخذ للشاعر المعني ـ نزار قباني ـ قصيدة موسومة بعنوان «الخرافة» يخوض فيها بغير علم في مسائل مصيرية بالنسبة لأمة الإسلام . قطع في الحكم عليها التشريع الإلهي : وها هو هذا الشاعر يصور الكتاتيب القرآنية التي تخرج منها خيرة هذه الأمة علما وورعا وتقوى . يعتبرها مجرد مرتع للخرافة ويتطاول على التشريع السماوي :

حين كنا
في الكتاتيب صغارا
حقنونا
بسخيف القول . . ليلا ونهارا
درّسونا
«ركبة المرأة عورة . . »
«ضحكة المرأة عورة»
صوتها ـ من خلف ثقب الباب ـ عورة
صوروا الجنس لنا . .
غولا . . بأنياب كبيرة
خوّفونا من عذاب الله إن نحن عشقنا (٤)

ولنزار قباني مواقف معادية لرجال الدين على حد تعبيره، جعلته يجاهر بالعداء لهم، ويوظف طاقته الإبداعية في التقليل من شأن أصحاب العمائم . ولم يكن هذا الأمر إلا توطئة ليتهم هذا الدين بالانغلاق؛ لأنه لا يسمح له

ولأمثاله باللهو والحديث عن «طفولة نهد».

وها هو في كتابه «قضيتي مع الشعر» منشورات نزار قباني (طبعة ١٩٧٣م). وفي الصفحة ٣٩ يتحدث عن معركة دارت بين أحد أعمامه المنفتحين ورجال الدين، فوصفه بطلا ووصفهم أقزاما قائلا «.. وطار صواب دمشق، وأصيب مشايخها، ورجال الدين فيها بانهيار عصبي، فقاوموه بكل ما يملكون من وسائل، وسلطوا الرعاع عليه.. ولكنه ظل صامدا، وظلت مسرحياته تعرض في خانات دمشق، ويقبل عليها الجمهور الباحث عن الفن النظيف»(٥).

ويسترسل قائلا: «العمائم نفسها التي طالبت بشنق أبي خليل طالبت بشنقي.. والذقون المحشوة بغبار التاريخ التي طلبت رأسه طلبت رأسي».

وحسبنا مما سقناه أن نتبين العقلية التي كان ينطلق منها هؤلاء من شعراء الباطل الذين وهبهم الله الموهبة الشعرية فلم يحسنوا استخدامها، وكان الأولى بهم أن يوظفوها في مرضاة الله، وفي المحافظة على ذائقة الأمة، وترسيخ القيم التي نهضت عليها حضارة الإسلام.

وصدق الله رب العزة الذي فصل بين فئتين من الشعراء بين المعتدين الذين يتبعهم الغاوون، والمهتدين الذين يقفون في خندق الكلمة للذود عن راية الإسلام ودياره وآله. وها هو ذا شاعر ثالث من المعتدين يوظف مفاهيم «نيتشه»، القائمة على التبادلية، والمعلنة عن غياب الله وتأليه الإنسان، يصدر ديوانا مرسوما بعنوان «الله يطارد جودو..» «الشاعر هو صلاح الدين الحريري» يستمد الديوان روافده الفكرية من مفاهيم نيتشه التي ضمنها في «هكذا تكلم زرادشت». حيث يظهر الإنسان القوي «السوبرمان» الذي ينقد نفسه وغيره، ويحارب بكل قواه فكرة الألوهية وينصب في النهاية نفسه إلها ناسوتيا يوزع القوة على غيره، ويدعو إلى التمرد على الإحساس العقدي عند الإنسان.

وهذه الفكرة نفسها هي نواة قصيدة «الله يطارد جودو». مبنية على الصراع الدائر بين المخلوق «جودو» والخالق. وما يلفت النظر فيها تلك السفاهة في تفسير أسباب خلق العالم، ووصف الله عز وجل بما لا يليق بربوبيته وجلاله وقدسيته، يقول هذا الشاعر:

في البدء كان الله
يهيم في دوامة الفراغ والعذاب
مبدّدًا قواه.
لكنه في ذات يوم ملّ من سكوته العميق
فارتعشت كفّاه كالغريق
كأنما يبحث في نموذج الحياة
عن قشة تشده إلى الحياة
وأظلمت عيناه
وصفّقتْ يساره يمناه
فكانت الجبال والبحار والتلال
من أول الزمان
أول حلم مرّ في خاطره الإنسان
فكان.. (٦)

وسأعفيكم من متابعة هذه القصيدة فالإنسان فيها مظلوم ومضطهد. يواجه قوة لا ترحمه، ولذلك فإنه يدخل الصراع آملا أن يستبدل المواقع مع هذه القوة. وتلك إذن مأساة الذي اختار أن يكون في خندق يعادي عقيدة الأمة.

ولقد انتشرت النيتشوية مستغلة ضعف المسلمين، وتقصير علمائهم، ووقوع مثقفيهم في حالة انبهار أمام مستوردات الغرب الثقافية. وها هو ذا الشاعر صلاح عبد الصبور في كتابه «حياتي في الشعر» يبدي إعجابا شديدا بنيتشه وبكتابه «هكذا تكلم زرادشت» فيقول: «وجدت بالصدفة السعيدة ترجمة فليكس فارس لكتاب نيتشه الخارق «هكذا تكلم زرادشت» أيّ دوار يخلخل الروح عرفته بعد قراءة هذا الكتاب، وفلاسفة قليلون من بني البشر يستطيعون أن يؤثروا في الوجدان البشري كما يؤثر نيتشه..»(٧).

ويستطرد عبد الصبور قائلا: «وأستطرد هنا قليلا لأقول إن نيتشه ظل أثيرا إلى نفسي منذ ذلك الحين» وبجانب النيتشوية ظهرت اتجاهات إيديولوجية في الشعر العربي الحديث تبشر بالاقتصاد الاشتراكي والعلماني، وتنصبه منقذا آخر للأوضاع. ولولا ضيق الوقت لأفردنا لذلك تتبعا معززا بالنصوص.

وإذا انتقلنا من الشعراء المعتدين، الذين يشيعون في أذهان القراء والمتلقين المفاهيم المنحرفة، ويعملون على ترسيخ الأباطيل، ووقفنا أمام الشعراء المهتدين الذين يمثلون الفئة المتشبثة بالحق، الرافعة للوائه، تبين لنا مقدار المسافة الشاسعة بين شعر الغواية المحرض للغرائز، المتآمر على حقيقة الإنسان المكرمة من لدن الخالق عز وجل، المبني على تحريك الرغبات السفلية والطينية من جهة، والمضلل لهذا الإنسان بإخراجه من دائرة النور ووضعه في دوائر الظلمات المظلمة.

وشعر الهداية الذي يستهدف المحافظة على إنسانية الإنسان، وقيادتها إلى السامي والمهذب والطاهر، إن على مستوى الصفاء العقدي، أو على مستوى الطهر الروحي والاعتدال المطلوب والمحافظ على كينونة الإنسان المستخلف فوق الأرض.

صراع.. ولكن:

وبقدر ما يشتد الصراع بين الاعتداء والاهتداء، وبين فن نقي يسمو وهو يعمل من أجل نشر الهداية في الكون. وفن ساقط منشر بسفلية الحمأ المسنون، وأصوات الشهوات، والاستكبار، وعامل على تعميم الغواية، وهدم الحقائق الأساسية في وجود الكائن البشري. بقدر ما يشتد الصراع بين إرادتين متناقضتين، إحداهما تمثل الحق وتسعى إلى التعمير، وثانيتهما تمثل الباطل وتوجه مسعاها نحو التدمير.

إذن لنتعرف بديمومة الصراع.

ولنتوقف مع شعر الهداية، ولنتخذ من السؤال بابا لولوج موضوعه.

ما هي وظيفة هذا الأدب؟.. عقيدية أم جمالية؟ أم هما معا.

وهل الشعر عند المسلمين مجرد فن للإمتاع والمؤانسة، وتزجية الوقت والإجابة عن هذه الأسئلة نلتمسها في نفحات الأقوال النبوية الشريفة. فها هو ذا رسول الله ﷺ يخاطب سيدنا حسان بن ثابت رضي الله عنه بقوله: (أهج قريشا وجبريل معك).

وبقوله: (لشعرك أجزل عند قريش من سبعين رجلا مقاتلا)

وبقوله حين استمع إلى بيتين لسيدنا كعب بن مالك: (لهو أسرع فيهم من السهم في غلس الظلام).

فالشعر استنتاجا من الأمر النبوي الكريم موقع من مواقع الجهاد والمنافحة عن العقيدة، وردّ كيد الكفر والإلحاد. ودحض القول الباطل بقول الحق. وإعادة الأمر إلى نصابها.

ولنا في كثرة شعراء عهد الرسول ﷺ دليل قاطع على أهمية دور الشاعر المسلم في حياة أمة الإسلام وبالإضافة إلى شعراء المنافحة الأبرار حسان بن ثابت، وعبد الله بن رواحة، وكعب بن مالك، نجد غير هؤلاء من شعراء عهد النبوة وردت الإشارة إليهم في كتاب «الطبقات الستية» لتقي الدين التميمي الداري من بينهم أبو دهبل الجمحي وهو شاعر وصحابي أعلن إسلامه يوم فتح مكة.. كما تميزت فئة من شعراء الإسلام آنئذ بنظم الأراجيز النبوية منهم: عمرو بن سالم بن كلثوم، وعبد الله بن بديل، وثامر بن الأكوع وأعشى مازن.

واستطاع شعراء الإسلام أن يواكبوا حركة الحياة الإسلامية في الحرب والسلم معا، ولقد انتبه أستاذنا محمد عبد المعي حسن إلى التنوع في أغراض الشعر الإسلامي وأكد أن الشعراء «استعملوا هذه الأغراض في خدمة الدين،

وخدمة نبيه، بل أضافوا أغراضا مستحدثة، كنشر العقيدة، وإعلان الشهادة، والحض على القتال والاستشهاد في سبيل الله، ووصف الغزوات والمعارك التي كانت تدور بين المسلمين والمشركين»* (٨).

وبهذا الإدراك العميق لوظيفة الفن وربطه بدورة زمن الأمة. نظر المسلمون إلى الشعر مهتدين بهدي النبوة، فتحقق عندهم في الشعر فضيلة الاستعمال فيما يرضي الله، وفضيلة الاستمتاع بشعر يرضي الله ورسوله.

وها هو ذا شاعر الإسلام المعاصر يقتفي أثر الشعراء الصحابة ويجعل من الكلمة رمحا يرمي به الكفر والزندقة والإلحاد ويفحم به من في قلبه مرض.

ها هو ذا الشاعر الإسلامي يوسف العظم يسكب في آذاننا نغمة الحق وهو يعلن الولاء لشاعر رسول الله قائلا:

ورايةُ الشعر للإسلام أرفعها
كالشمس مزهوا بألواني
يعيش حسان في قلبي وفي قلمي
فهل بلغت بشعري روح حسان

وها هو ذا صوت شاعر إسلامي من المغرب الإسلامي يردد نفس ما رددده يوسف العظم ويبايع سلطان الشعراء سيدنا حسان قائلا:

فإن الشعر سيف ليس ينبو ... إذا ما كان خوف الله زاده
سنجعل منه للإسلام حصنا ... ونجعل قمة التقوى عماده
فحسان إمام الشعر فينا ... بتقوى الله حقق ما أراده

ولكي يستمر الشعر مواكبا حياة المسلمين، ومرتبطا بوجدان الأمة، ومعبرا عن أحزانها ومسراتها، ومشدودا إلى قضاياها المصيرية ومحققا في الوقت نفسه حضوره القوي في دار الإسلام.

أرى أن أختم هذا الموضوع بتصورات تهدف إلى وضع القصيدة الإسلامية المعاصرة أمام قضايا يجب تركيز الشعراء عليها في أشعارهم، وليست هذه الدعوة تفترض تقييد الشاعر المسلم. ولكنها تدخل في إطار الحوار الذي يجب أن يواكب صحوة الشعر، ومن بين القضايا على مستوى المضمون:

١ ـ بعث فكرة الغيب في الشعر لمحاربة المضامين المادية التي هيمنت على قصيدة الغواية.

والغيبي في الشعر يكسب القصيدة اتساعا على مستوى زمنها. فزمنها يمتد من الخلق إلى البعث والنشور وإلى ما وراء ذلك. فهي بهذا المعنى تتحرك في عالمين أحدهما عالم الشهادة وثانيهما عالم الغيب.

والقصد من وراء هذا الأمر تذكير الذاكرة الإسلامية بالحقائق الغيبية التي لا يتم الإيمان إلا بإقرارها مصداقا لقول الله تعالى:

﴿الم ذلك الكتاب لا ريب فيه هدى للمتقين الذين يؤمنون بالغيب ويقيمون الصلاة ومما رزقناهم ينفقون﴾.

ولمحاربة النزعات الدهرية والعدمية، والمادية، والوجودية التي حاولت أن تشكك القراء السذج في أمر العالم الغيبي.

٢ ـ علاقة الشاعر المسلم بالكون: لقد سادت في الشعر غير الإسلامي مفاهيم تبدو فيها نظرة الشاعر للكون مختلة. وعلى ضوء ذلك انتشرت فكرة «الأرض الخراب» التي تسربت إلى الشعر العربي من عمل الشاعر الإنجليزي «توماس إليوت». وأصبح الشعراء يدورون في فلك هذه الرؤية العميقة التي حصرت العلاقة بين الشاعر وكونه في نزعة التدمير واليأس. والنظر إلى الأرض باعتبارها جهنم. إن الشعر الإسلامي يعيد إلى علاقة الشاعر بالكون موضوعيتها. فعلاقة الإنسان بالأرض علاقة دينية فهو مستخلف فيها، ومأمور من الله سبحانه بتعميرها وإثبات الحق فوقها.

وعلاقته من جهة أخرى بالأرض عضوية؛ لأنه مخلوق منها ولكل ذلك فأصل العلاقة أن تكون نظرته لها متناغمة مصداقا لقول رسول الله ﷺ «أحد جبل يحبنا ونحبه».

٣ ـ واقعية القصيدة الإسلامية: فالقصيدة الإسلامية تجسد نبض الأمة. وتعبر عن وجدانها. وتواكب قضاياها المختلفة، ومن الضروري أن يكون شعرنا منصهرا في قضايانا السياسية والاجتماعية وغيرها. فلا خير في الشعر إذا نسي أحداثا مهولة كإحراق المسجد الأقصى، ولا خير فيه إذا تغافل عن ظاهرة اعتداء اليهود على إخواننا. ولا خير فيه إذا لم يعرف بقضايا الأقليات الإسلامية المضطهدة في الهند والفلبين وغيرها ولا خير فيه إذا تجاهل دوره في الحرب الدائرة بين الإيمان والكفر في البوسنة والهرسك. ولا خير فيه إذا تسامح مع الظلم بشتى أنواعه.

ولا بد من الإشارة إلى أن الشعر يمثل وثيقة تأريخية مهمة تؤرخ للأحداث التي تمر بها أمة الإسلام.

٤ ـ أسماء القصيدة ورموزها: إمعانا في محاربة الإسلام عمل بعضهم على توجيه القصيدة العربية الحديثة إلى استخدام الرمز الوثني، والأساطير، بدعوى التجديد في مجال التعبير الفني، ولذلك ظهرت في قصائد بعض شعرائنا أسطورة بروميثيوس. وسيزيف، وعشتار، إلخ... ولا يخفى على أحد أن هذه الأسماء الأسطورية لها محمول خرافي وثني يتنافى مع قيم أمة التوحيد.

كما أن القصيدة العربية سقطت في تمجيد بعض الأسماء التاريخية المعاصرة وغير المعاصرة. كأرنستوجيفارا. وغيره، والحقيقة أن ذلك كان متعمدا لتنفصل ذاكرتنا عن أسماء شهداء الإسلام وعلمائه، وقبل ذلك عن عهد النبوة. وأسماء الصحابة الكرام.

ولذلك ألفت النظر إلى أن القصيدة الإسلامية مدعوة إلى إحياء الأسماء والرموز في تاريخنا الإسلامي من قادة الغزوات، من أمثال خالد بن الوليد، وصلاح الدين الأيوبي، ومن العلماء من أمثال العز بن عبد السلام وغيره لربط ذاكرتنا بقيادتها وأحداثها.

وأنهي موضوعي بقضية مهمة أرجو أن تتسع لها صدور بعض إخواننا وتتعلق بشكل القصيدة وبنائها الفني. فما داء الإسلام لم يحدد شكل القصيدة. فعلى شعراء الإسلام أن يرتادوا التجريب الفني، والبحث عن معادلات فنية ولا حرج في ذلك غير أننا نشترط أن يكون التجديد من داخل الثوابت. دون تطاول على قواعد اللغة ودون إغفال لأساسيات الشعر عندنا وهو الجانب الإيقاعي.

هوامش

(١) ديوان لا تكذبي ـ كامل الشناوي ـ الدار القومية للطباعة والنشر من قصيدة «إلى أبي».

(٢) (المرجع نفسه) عن قصيدة «لم ماذا».

(٣) (م ـ ن) من قصيدة «أنا».

(٤) ديوان قصائد متوحشة ـ نزار قباني ـ منشورات نزار قباني ـ الطبعة الأولى ١٩٧٠ ـ من قصيدة ـ الخرافة ص: ٣٥ ـ ٣٦.

(٥) قصتي مع الشعر (سيرة ذاتية) نزار قباني ـ منشورات نزار قباني الطبعة الأولى ١٩٧٣ ـ ص: ٣٨ ـ ٣٩

(٦) ديوان «الله يطارد حوذي» صلاح الدين الحريري

(٧) حياتي في الشعر ـ صلاح عبد الصبور ـ دار الفرا ـ بيروت ـ طبعة ١٩٨٣ ص ٥٤ ـ ٥٥

(٨) محمد عبد الغني حسن ـ مجلة الهلال ـ من مقال «شعراء النبي وشعر الدعوة الإسلامية» العدد ١٠/ ١ أكتوبر ١٩٧٢م.

* من مقال ـ شعراء النبي وشعر الدعوة الإسلامية، محمد عبد الغني حسن ـ الهلال ١٠ س ١ أكتوبر ١٩٧٢م